خانات مندثرة من العصر العثماني في مدينة الفلوجة

د. سعدي إبراهيم الدراجي

مركز إحياء التراث العلمي العربي ـ جامعة بغداد

المقدمة:

تُعنى هذه الورقة بدراسة أربع خانات أقيمت في الفلوجة قبل اتخاذها في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م مركزاً أداريا لناحية جديدة بدلا من (الصقلاوية). وقد تم اختيارها لضرورات اقتصادية وعسكرية تهدف إلى تامين الطرق الحيوية (النهرية والبرية) التي تربط بغداد بمدن أعالي الفرات والمناطق الغربية ومدن بلاد الشام. وقد ازدهرت المدينة بسرعة كبيرة بحكم موقعها الجغرافي حيث تصف إحدى السالنامات العثمانية (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) أن الفلوجة مركز لناحية قائمة على ضفاف الفرات فيها مائة بيت وجامع ومكتب ابتدائي وعشرين محلا وأربعة خانات ودائرة بريد[١]، وجسر انشئ سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م[٢].

إن أهمية دراسة هذه الخانات لا َتكمن في قلة الأمثلة التي خلصت إلينا من غرب العراق فحسب، بل بوصفها مزالة في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. لذلك سعى الباحث إلى توثيقها بقصد أحيائها بالاعتماد على بعض الخرائط والصور القديمة، وما جادت به ذاكرة الباحث الذي لازمها سنوات طويلة بحكم السكن، فضلا عن مشاهدات كبار السن من أهل الحي القديم أو القاطنين بجوارها، بوصفها جزءاً من التراث العماري، وحلقة مهمة في سلسلة العمارة العراقية المشيدة في العصر العثماني.

ويمكن حصر أنماط الخانات في الفلوجة بثلاثة طرز الأول: ساحات مكشوفة محاطة بأسوار كانت موقعة في أسواق المدينة أو قرب حاراتها استخدمت لربط الحيوانات. والثاني مزود بقاعات فخمة مسقفة بالأقبية، وهذا النمط ممثل بخان الوقف الذي أقيم خلف بناية السراي، وفيه صحن كبير يتقدم البناء لربط الحيوانات التابعة للبلدية والدوائر الأخرى، أما الطراز الثالث فيتمثل بخان تقليدي أقيم لاستقبال القوافل التجارية والمسافرين، لذلك زود بصحن واسع تحيط به مجموعة من الحجرات تستخدم مخازن للوازم والأعلاف. فضلا عن جناح خاص يضم غرفا لمبيت المسافرين.

الأمثلة:

١ـ خان الفلوجة الكبير:

لقد شاع بين الناس منذ القدم أن الخان كتلة واحدة فعرف قديما باسم مالكه الأول عويد بن حمو، ثم عرف بخان ميرادم نسبة إلى رجل افغاني الجنسية ظل يعمل فيه عقود من الزمن. كما عرف بخان بيت عريم إشارة إلى ملاكه من ورثة هذه العائلة.

الخان مبني على كتف نهر الفرات إذ لا يفصل بين الخان والشاطئ سوى شارع لا يزيد عرضه في أحسن النقاط عن عشرة أمتار يمتد بمحاذاة الضلع الغربي للخان وقد زود هذا الشارع من الجهتين بعدد من الدكاكين الصغيرة بعضها مبني بلصق الخان يقابلها عدد آخر في الجهة المطلة على النهر.

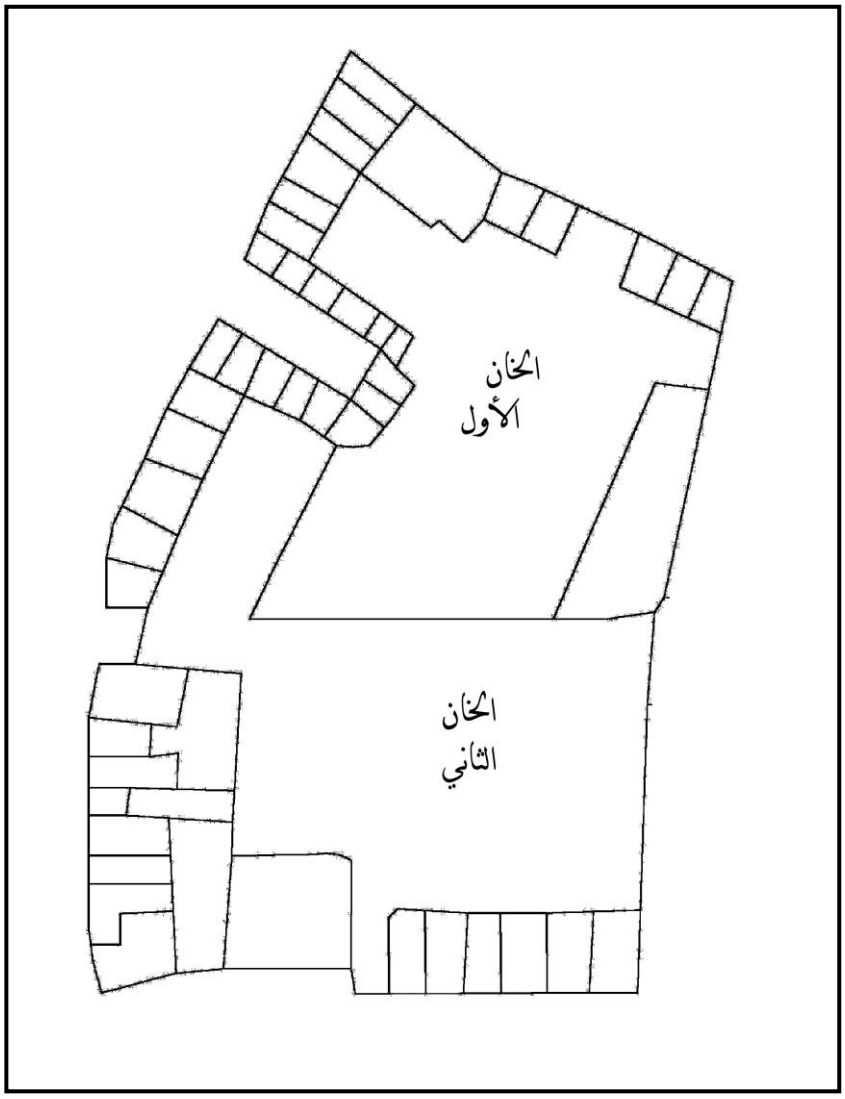

مخطط خان الفلوجة الكبير وما حوله من محلات تجارية بالاعتماد على خارطة الفلوجة عام ١٩١٩

وعن تاريخ بناء الخان فلا يعرف سنة تشييده على وجه الدقة، بيد أن الوثائق المحفوظة في دوائر التسجيل العقاري تؤكد أن الخان قسمين أو خانيين معزولين بجدار ضُرب في وسطه باب. الخان الأول ممثل بالقطعة المرقمة ٦٩ المشيد عليها خان مسجل باسم مالكه (عويد بن حمو) وفق سند الطابو المنقول من دفتر ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)[٣]، ومساحته ٦٤٣.٢٧م. وهو موصوف بالسند بأنه "يحتوي على خمسة غرف وشهنشيني (كذا) وطارمه فوقاني وأربع طولات وانبار وبئر تحتاني"[٤] أما الخان الثاني يحمل تسلسل ٢٦ ويشار إليه بأنه خان مالكه الأول سيد نجم بن عبد الله المربوط بسند الطابو المؤرخ عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) ثم آل إلى بيت عريم.

الخان الأول

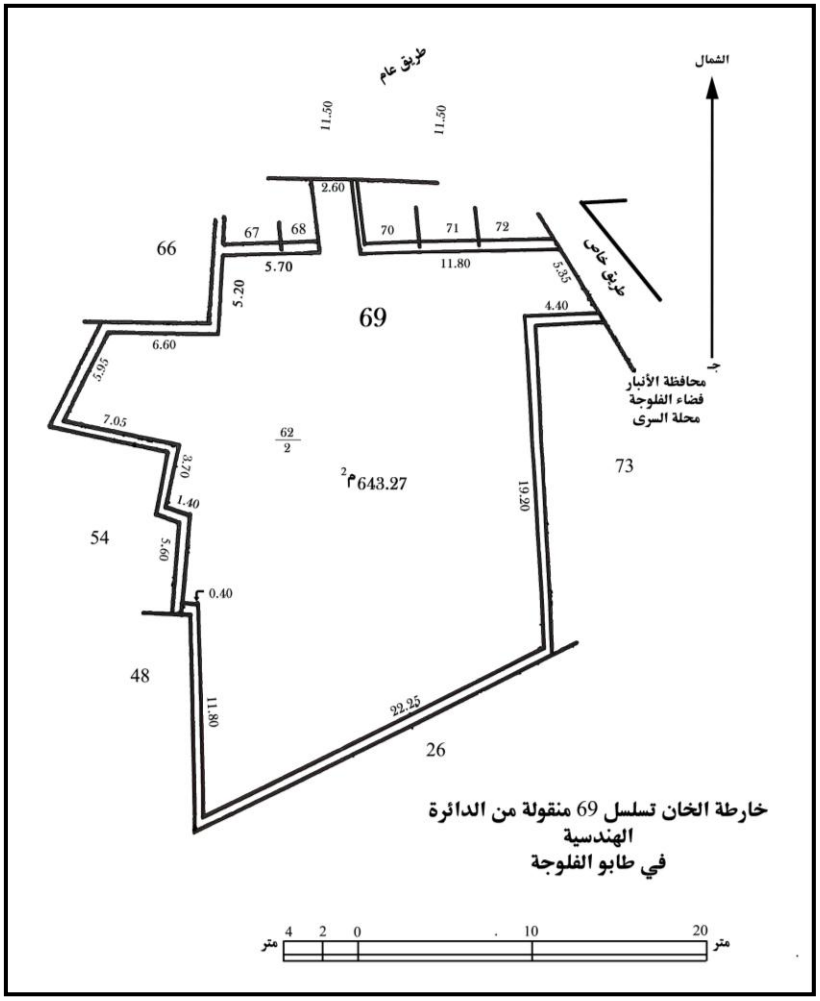

حدود الخان الأول عام ١٩١٩م

إن عدم انتظام الشكل الهندسي للخان من الخارج يعود إلى اعوجاج الشوارع المحيطة به، وطبيعة الكتل البنائية التي شيدت بظاهر الخان من الجهتين الشرقية والجنوبية. ولعل هذه الكتل التي فرضت شكل الخان وحددت حدوده من بعض الجهات كانت مبنية قبله بسنوات.

يحده من الجهة الشمالية شارع لا تتوافر فيه الاستقامة يسير بشكل عمودي على النهر، وقد ضم هذا الشارع من الجهتين دكاكين شارعه من الخان تقابلها أخرى مرتبة بشكل صف شارعه من البيوت. كما ضمت هذه الجهة من الخان مقهى وبلصقها دكاكين كانت مسجلة باسم المالك الأول للخان وهي متزامنة معه وتحمل تسلسل ٦٦. أما من الجهة الجنوبية فيحد الخان خان آخر سوف نأتي على وصفه يحمل بتسلسل ٢٦.

والخان من الجهة الشرقية محجوب ببيت مسجل باسم إبراهيم فش صالح كوهين وجزء من زقاق غير نافذ يؤدي إلى بعض البيوت السكنية. أما من الجهة الغربية فالخان محجوب بمجموعة من الدكاكين يجاورها قيصرية مكونه من أربعة عشر حانوتا عائدة إلى (حميد كنه) وقد تحولت فيما بعد إلى دار. وبجوارها من جهة الجنوب دار باسم الحاج محمد الخضير.

تخطيط الخان:

لا يختلف تخطيط الخان موضوع الدراسة عن باقي الخانات العثمانية المشيدة في العديد من المدن العراقية. وقوامه صحن مكشوف ضم أربع طولات تستخدم لربط الخيول، ومخزن فضلا عن البئر.

والبناء في الخان يقتصر على الجناح الشمالي وفيه خمس حجرات تنفتح على الصحن مباشرة من دون رواق. وفوق الحجرات طابق أخر يتقدمه رواق يوصل إلى غرف كانت مخصصة لإقامة المسافرين والتجار. وللخان مدخل رئيس متوج بعقد مدبب مظلل من الأعلى بمشربية خشب.

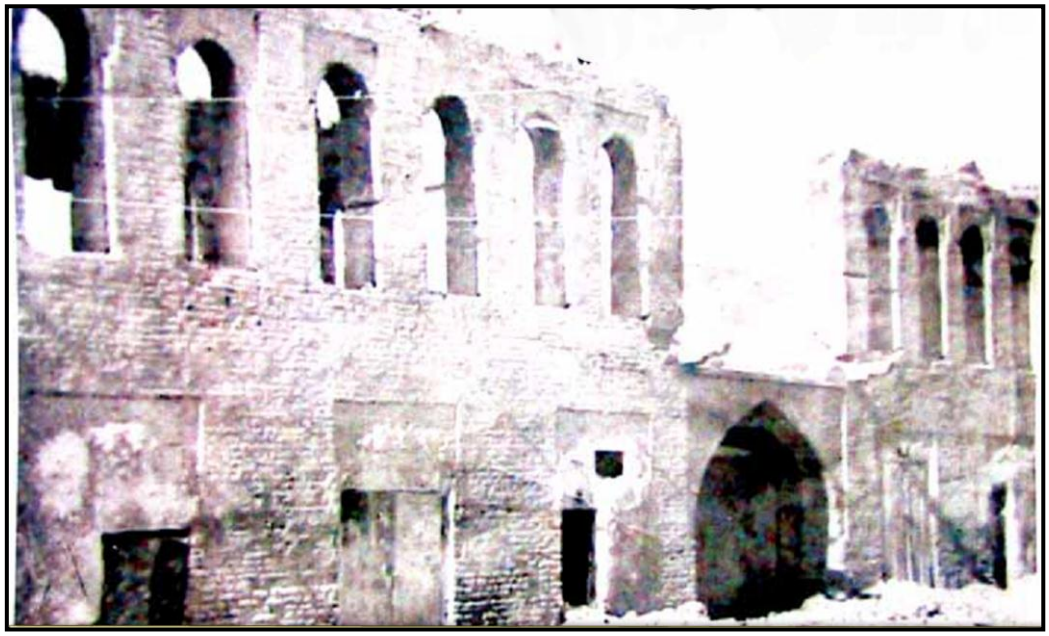

الواجهة الشمالية لخان الفلوجة الكبير

وصف الخان:

للخان واجهة واحدة تنفتح على الجهة الشمالية نحو شارع عام، وهي جزء من الجناح الشمالي الذي بقي قائما إلى أواخر ثمانينات القرن العشرين، وقد ضمت الواجهة مدخلا واسعا بلغ عرضه ٢.٦٠م وإرتفاعه الأصلي يزيد على ثلاثة أمتار متوج بعقد مدبب يرتكز من الجانبين على أكتاف مبنية مثل سائر الجدران بالآجر العباسي المنقول من مدينة الأنبار الأثرية والجص. وللمدخل باب كبير من الخشب منفذ بالطريقة التقليدية القديمة، وفيها تثبت الألواح الطولية على ألواح مستعرضة مسامير حديد ذات رؤوس نصف كروية، وتكون هذه الأبواب عادة من دون إطار لأنها تدور بوساطة عمود مثبت بأحد طرفي الباب يرتكز على صنارة حجرية. ويدخل من الأعلى في فجوة من البناء.

يكتنف فتحة المدخل من الجانبين خمسة دكاكين صغيرة ثلاث منها قائمة على يسار الداخل واثنين على اليمين. والدكاكين التي تفتح مباشرة على الشارع مزودة بمداخل مشغولة بأبواب خشب ومسقفة بأقبية منخفضة مبنية بالآجر والجص. وقد زودت الدكاكين بفتحات صغيرة مربعة الشكل وجدت فوق المداخل بقصد الإضاءة والتهوية.

ومدخل الخان مظلل من الأعلى بمشربية (شناشيل) مرتبة على شكل شرفة خشبية بارزة عن سمت الجدران بمقدار متر واحد، وهي تقوم على مساند خشبية (كوابيل) مثبتة بالبناء بقوة كي تستطيع حمل الأثقال المسلطة عليها من الأعلى.

ومن الطبعي أن تزود المشربية بنوافذ مزودة بمصاريع خشبية تحمل في قسمها العلوي زجاج ملون لتساعد على تكسر أشعة الشمس وتعمل في الوقت نفسه على تخفيف الحرارة في فصل الصيف. وقد

بلغ مجموع النوافذ في هذه المشربية ستة، أربع منها أمامية تنفتح على الجهة الشمالية والأخريتان جانبيتان متقابلتان الأولى تنفتح إلى الغرب باتجاه النهر لتساعد على دخول النسيم البارد إلى الغرف العليا والأخيرة تتجه شرقا.

إن نوافذ المشربية ومعها نوافذ الطابق العلوي الذي يمتد على طول الجناح الشمالي متوجة بعقود نصف دائرية، كما يتضح ذلك من الصور القديمة الملتقطة في منتصف القرن العشرين، ومحصنة من الأمام بشبكة من القضبان الحديدية مرتبة بشكل هندسي دقيق وظيفتها المساعدة على حمايتها من السرقة وتمنع في الوقت نفسه من السقوط، ولاسيما وأن النوافذ المذكورة لا تحمل مصاريع تقليدية بل أن نصفها العلوي ثابت مغشى عادة بالزجاج الملون ونصفها السفلي مصمم على شكل فرد ينفتح برفعه إلى الأعلى حيث يتحرك من كل جانب داخل أخدود من الخشب يحكم حركته.

أما الطابق العلوي فقوامه غرف كبيرة امتدت على يمين ويسار المدخل، كانت مغطاة بسقف مستوي من الخشب، يعتمد على جوائز دائرية يعلوها حصر معمولة من شرائح القصب(بارية) طرت من الأعلى بطبقة ثخينة من الطين. والغرف التي مازالت صورتها ماثلة في ذهن الباحث مزودة بسقف ثانوي من الخشب مثبت بالجوائز نفسها ومرتب على شكل ألواح عريضة مرصوصة إلى جانب بعضها البعض ومرتبة بشكل هندسي لترسم معينات مكررة على التوالي.

وغرف الخان مزودة بصف من النوافذ بلغ عددها عشرة تطل على الشارع، يقابلها صف آخر من الجهة المقابلة تنفتح على صحن الخان. وهي متوجة بعقود نصف دائرية، ومشغولة بشبابيك خشب محصنة من الأمام بقضبان حديد كما أسلفنا.

إن الوصول إلى الطابق العلوي في هذا الجناح يكون عن طريق درج خارجي مرتب بالبناء في جهة الصحن، يقود إلى رواق أمامي يمتد أمام الغرف من داخل الخان. وقد وصف هذا الممر بندات الطابو بأنه على شكل (طارمة) أي رواق مسقف من الأعلى بالخشب.

ولا شك أن صحن الخان الواسع كان مهيئا لاستقبال القوافل القادمة من بلاد الشام وغيرها والذاهبة الى بغداد حيث يستخدم لإيواء الحيوانات وقد زود بطولات فيها معالف تأكل فيها الحيوانات. وعلى الرغم من قرب الخان من النهر، إلا أنه قد زود ببئر يساعد على إدامة الماء للحيوانات.

الخان الثاني:

يحتل النصف الجنوبي ومالكه الأول سيد نجم بن عيدان[٥]. يحده من جهة الشمال خان عويد، ومن الجنوب شارع الجسر ومن الشرق دار سكن تحول إلى حمام، ومن الغرب علوة ومجموعة من الحوانيت أبوابها مفتوحة باتجاه النهر.

يتوسط الواجهة الجنوبية للخان مدخل متوج بعقد يفتح على الشارع الرئيس الذي يقود إلى بغداد ويبدأ من رأس الجسر الخشبي لذلك كان يسمى هذا الشارع في الوثائق العثمانية (جسر جادة سي)، يكتنفه من جهة اليمين ستة دكاكين صغيرة مسقفة بأقبية منخفضة. ومن جهة اليسار مقهى تعد من أقدم المقاهي في المدينة[٦]، وقد شغلت مساحة مربعة بجانب مدخل الخان مسقفة بجوائز من الخشب ترتكز من الأطراف على الجدران ومن الوسط على أعمدة خشب (دلكات) وفوق الجوائز حُصُرٌ مرتبةٌ من شرائح القصب يعلوها طبقة من الطين لمنع نفاذ مياه الأمطار في فصل الشتاء وتوفير الظل وتخفيف درجة الحرارة في الصيف ، والمقهى كانت مزودة بدكاك مغطاة بحصر تستخدم لجلوس الزبائن، الذين يرتادونها لشرب الشاي والنارجيلة.

كما يضم الجناح الجنوبي في ركنه الغربي مجموعة من الدكاكين الصغيرة تحولت على ما يبدو لاحقا إلى بيت صغير ظل قائما حتى بداية التسعينيات من القرن الماضي. أما الجهة الغربية فقد حجبت بعلوه وعدد من الحوانيت المزودة بمداخل لها أبواب شارعه نحو النهر.

الصحن:

صحن الخان في الأصل عبارة عن ساحة مكشوفة غير منتظمة الحدود تستخدم لربط الحيوانات، وعدم انتظام الشكل الهندسي للخان من الخارج يعود إلى اعوجاج الشوارع المحيطة به من الجهتين الجنوبية والغربية. وقد زود الصحن بمعالف كانت مبنية بجوار أبواب الحجرات ونوافذها. ولا ندري إذا كان هذا الصحن مزود ببئر كما هي الحال في الخان الشمالي أم لا؟.

إن النصف الجنوبي من الخان يظهر عارٍ من الأبنية في خارطة المدينة المرسومة من قبل دائرة طابو بغداد عام ١٩١٩م، ويبدو أنه مخصص لربط الحيوانات والمحافظة عليها حيث يقيم فيه الخاني ومساعديه من العمال المتخصصين بتربية الخيول وإطعامها ورعايتها بقصد تأجيرها أو بيعها وأحيانا تبديلها بأخرى مجهده يأتي بها المسافرون من أماكن بعيدة. أما القسم السكني فيتمثل بالقسم الشمالي والذي يقيم فيه عادة أصحاب القوافل من المسافرين والتجار.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام تخص الصورة الملتقطة بعدسة مصور الجمعية الجغرافية الأمريكية عام ١٩١٤م.(٧) حيث ضن البعض بأنها تمثل الجناح الغربي للخان موضوع الدراسة. بالاعتماد على الشروحات والتعليقات التي رافقت الصورة، بوصفها لخان على الفرات في الفلوجة. والرحالة قد تحدث بشكل مقتضب عن الخانات مؤسسات أنشئت على شكل حصون من قبل الحكومة العثمانية وقد انتشرت على طرق المواصلات المهمة لحماية القوافل المارة من اللصوص وتامين راحتها داخل أسوارها العالية وأبوابها المحكمة بالسلاسل.

وبعد التمحيص والبحث الدقيق في خرائط مدينة الفلوجة وطبيعة نسيجها الحضري ولاسيما خارطة ١٩١٩م وخارطة عام ١٩٢١م. فضلا عن المخططات القديمة الخاصة بالخان نفسه. تبين للباحث أن الصورة لا تمثل خان الفلوجة ولعلها لخان آخر كان قائما على الفرات في المناطق الغربية حيث شيد العثمانيون في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين سلسلة من الخانات في المدن الصغيرة الواقعة على الفرات ومنها راوه والبغدادي وحديثة وهيت والرمادي. ولاسيما وأن الجهة الغربية للخان خالية من البناء وهي محددة بابنية تجارية عديدة.

الصورة المنسوبة خطا لخان الفلوجة والملتقطة عام ١٩١٤

٢- خان الوقف

يقع هذا الخان خلف سراي الحكومة العثمانية أو بلصقه من الجهة الشرقية، أي لا يبعد عن الجامع الكبير سوى بضعة أمتار، وهو ضمن محلة السراي طبعا ويحمل تسلسل ١٦٨ في الخرائط القديمة.

استغل الخان لسنوات طويلة من قبل البلدية مأوى للحيوانات وعرباتها المستخدمة في تنظيف الشوارع.. ثم أصبح مكانا لبيع الفواكه والخضروات(علوة) التي يأتي بها المزارعون عادة كل صباح من القرى المحيطة بالمدينة لتباع على أصحاب محلات البقالة بالجملة. ثم أُجر من قبل الأوقاف عام ١٩٦٣م لأحد المواطنين[٨] خانا لربط الخيول وتربيتها. وفي عام ١٩٧٢م قامت مديرية تربية الأنبار بإزالة البناء القديم وبناء مكانه مدرسة ابتدائية للبنات عرفت بمدرسة (الرفعة). ثم عاد في السنوات الأخيرة مدرسة تابعة لديوان الوقف السني.

عرف الخان موضوع الدراسة بـ(خان الوقف)، إذ تشير الوثائق الرسمية بأن أرض الخان مسجلة باسم آمر اللواء الفريق كاظم باشا[٩] منذ عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م). وقد أوقفها المالك مع مقهى ومجموعة من الدكاكين على جامعه الذي يعرف اليوم بـ(الجامع الكبير)[١٠].

وحول تاريخ البناء تؤكد سندات التسجيل العقاري الخاصة بالبيوت المجاورة للخان من الجهتين الجنوبية والغربية، والتي يعود معظمها إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، إن ارض الخان بقيت خالية من البناء حتى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م.

ويبدو أن كاظم باشا كان قد أوقفها أول الأمر على شكل قطعة ارض خالية (عرصة) ثم استحدث فيها البناء في فترة لاحقة. إذ لا يوجد في وقفيتيه الأولى (١٣١٧هـ) والثانية (١٣٢٤هـ) ما يشير إلى كلمة خان صراحة.

وصف الخان:

يبدو الخان من خلال حدوده المثبتة في الخرائط المعدة من قبل دائرة التسجيل العقاري (الطابو) مربع الشكل تقريبا ومساحته الكلية تبلغ حوالي ألفي متر مربع. أما أضلاعه فمختلفة قليلا في أطوالها فالشمالي ٤٦.٢٠م والجنوبي ٤٥.٦٠م والغربي ٤٥.١٠م والشرقي ٤٣.٨٥م[١١].

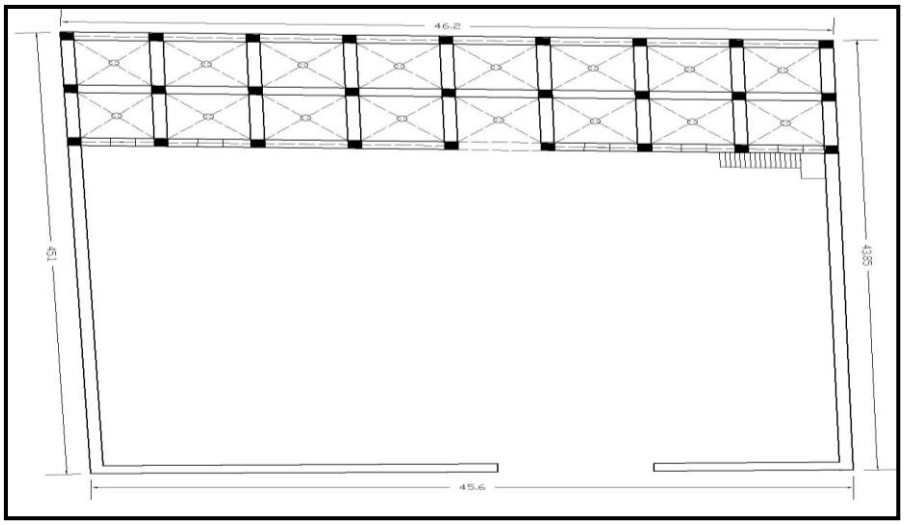

مخطط تقريبي لخان الوقف بالاعتماد على خرائط التسجيل العقاري

لقد بني الخان بالآجر المربع (الفرشي) والجص، وهو معاد الاستخدام بوصفه آجر عباسي منقول من هاشمية الأنبار الأثرية.

الخان محجوب من ثلاث جهات بالبيوت السكنية ما عدا الطرف الشمالي من ضلعه الشرقي يطل على زقاق، أما واجهته فتطل على الجهة الشمالية وتفتح على الطريق العام الذي يتعامد مع نهر الفرات. والواجهة المذكورة ليس فيها ما يستحق الذكر بوصفها سور أو سياج ارتفاعه يربو على ثلاثة أمتار فقط، وقد زودت الواجهة بمدخل واسع مشغول بباب خشب من مصراعين. والسور نفسه يحيط بالخان أيضا من الجهتين الشرقية والغربية. أما الجهة الجنوبية فقد ضمت قاعة كبيرة متصلة امتدت على طول الضلع المذكور.

إذن قوام الخان صحن واسع مكشوف محاط بسور من ثلاث جهات وهو خالٍ من البناء ما عدا الجهة الجنوبية التي شُغلت بقاعة طولها ٤٦.٢٠م وعرضها يربو على عشرة أمتار. مزودة بمدخل يربو عرضه على خمسة أمتار متوج بعقد نصف دائري يرتكز من الجانبين على أكتاف مندمجة. والقاعة من الداخل مقسمة إلى رواقين بوساطة صف من الأكتاف ذات قطاع مربع طول ضلعه ٨٠سم. والأكتاف المذكورة تحمل فوقها عقود نصف دائرية تسير باتجاهين. الأولى موازية للجدار الجنوبي والثانية متعامدة عليه.

كما عززت الجدران الأربعة من جميع الجهات بأكتاف أخرى مندمجة موزعة على محور الأكتاف الوسطى وظيفتها استقبال أرجل العقود وفي الوقت نفسه المساعدة في ثبات الجدران وتقويتها وضمان عدم دفعها إلى الخارج.

ولتخفيف الثقل على الأسس لجأ المعمار إلى تزويد الجدران بحنايا صماء كبيرة تنتهي بعقود نصف دائرية. ولا شك أن لهذه الحنايا فوائد أخرى كثيرة منها على سبيل المثال الاقتصاد في مواد البناء فضلا عن بعض الاستخدامات المعروفة.

إن القصد من ترتيب العقود بهذه الصورة تحقيق فضاءات مربعة يمكن تهيئتها لإقامة أقبية متقاطعة. وهذه الأقبية كانت مرتفعة عن مستوى الأرض الأصلية بما يربو على خمسة أمتار. وهي مزودة بفتحات دائرية وجدت للمساعدة في أضاءت وتهوية هذا الفضاء الواسع من البناء. ولعل الفتحات التي شغلت المنطقة المركزية من القبو كانت محمية من الخارج بكتل تمنع تسرب المياه عند تواتر الأمطار في فصل الشتاء لكننا لم نقف عليها.

وإضاءة القاعة وتهويتها تعتمد بالدرجة الأساس على خمس نوافذ متوجة بعقود نصف دائرية، اثنين منها تقع على يسار الداخل وثلاثة على اليمين. فضلا عن فتحة المدخل الواسعة التي يربو عرضها على خمسة أمتار.

٣- خان حسن كنه:

احد الخانات الأربعة التي أشارت إليها السالنامات العثمانية، ويقع في منطقة الأسواق، أو في قلب المدينة القديمة القريبة من رأس الجسر الخشبي. وواجهته شارعه نحو الجهة الشمالية على الشارع العام المعروف آنذاك (فرات جادة سي) أو (جسر جادة سي). وقد حددت وثائق التسجيل العقاري حدوده وذكرت مساحته بدقة. يحده من الجهة الغربية مقهى مسجلة باسم المالك نفسه، ومن جهة الشرقية دكان سيد سلومي بن سيد صالح وعلوته ومن الجهة الجنوبية ملك محمود جلبي التكريتي.

والخان مسجل عام ١٣١٠هـ(١٨٩٢م) باسم (حسن أغا بن ياسين) الملقب بـ حسن كنه ومساحته ١٠٨.٢٥م، وقد وصف بأنه مبني بطابقين يحتوي الطابق الأرضي على ثلاث حجرات وانبارين وطولتين ومجاز والطابق العلوي يقتصر على غرفتين ورواق أمامي (طارمة)[١٢].

الخلاصة:

١- إن أهم الفوائد المتوخاة من هذه الدراسة في تقدير الباحث هي توثيق أبنية كانت تمثل جانبا من التراث العماري لمدينة الفلوجة، وان كانت تلك الأبنية قد قد تعرضت إلى التخريب والتجديد ابتداء من ثمانينات القرن الماضي لقربها من الأسواق التجارية، ثم طالتها أيدي القوات الأمريكية المحتلة فأزالتها كلية عندما احتلت المدينة بعد أن فرضت عليها الحصار في نهاية عام ٢٠٠٤م.

٢- تبين من خلال الدراسة أن خانات الفلوجة ثلاثة طرز الأول: على شكل ساحات مسيجة لربط الحيوانات أو إيوائها فقط والثاني: ساحة يتصدرها قاعة مسقفة بالأقبية تستخدم لخزن الحبوب وهي تصلح بالوقت نفسه إسطبلاً لربط الحيوانات، والطراز الثالث: صحن مكشوف واسع يستخدم لربط الحيوانات وحوله في بعض الجهات حجرات تستخدم لحفظ اللوازم المهمة والأعلاف، وفوق الحجرات غرف لمبيت التجار والمسافرين كما هي الحال في خان الفلوجة الكبير. والطراز الأخير قد شاع في معظم المدن العراقية ومنها بغداد وكانت معظم خاناتها مزودة بأربعة أجنحة بنائية تدور حول صحن مكشوف.

٣- ومن الطبعي أن تعكس كثرة الخانات في الفلوجة رواج التجارة، التي نشطت بحكم الموقع الجغرافي بوصفها مدينة احتلت موضعا استراتيجيا على طرق المواصلات (البرية والنهرية) التي تربط مركز الولاية بغداد بمدن بلاد الشام. لذلك نرى أن عددها اخذ يزداد بسرعة ويتضاعف في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين كي تفي بمتطلبات التجار والمسافرين. وهذا ما تؤكده الوثائق المحفوظة بالتسجيل العقاري. حيث تصف خانات جديدة أسست على ما يبدو في قريبة من منطقة الأسواق خلال هذه الفترة.

٤- ولما كانت الفلوجة مركزا حضريا محاطا بالقرى والأراضي الزراعية ذات الإنتاج الجيد لمختلف المحاصيل الزراعية ولاسيما الحبوب. فمن الطبعي أن تتولد الحاجة إلى إيجاد عمائر غير الخانات تتفق مع الوظيفة الجديدة التي تجمع بين الخزن الموقت وعمليات البيع والشراء. فاستحدث فيها مجموعة من المحلات التجارية الكبيرة التي تسمى بـ (العلاوي) متخصصة بشراء الحبوب وجمعها استعدادا لبيعها بالجملة أو تصديرها إلى مركز الولاية والمدن الأخرى.

٥- تعد الخانات من المؤسسات المهمة التي ساعدت على نمو المدينة وتطورها بعجالة، بوصفها من أصلح المرافق الخدمية التي تحتل عادة موقعا متميزا في منطقة الأسواق. وتبنى لغرض الربح والتجارة. إذ تفضل الطبقة الغنية من الناس استثمار أموالها بشراء العقارات لذلك سعى أصحاب رؤوس الأموال إلى الاستثمار فيها، فقاموا ببنائها أو شراء أسهما من أصحابها، كما فعل رئيس بلدية بغداد (الثالثة) محمود جلبي بن الحاج أحمد التكريتي، وآل كنه وآل عريم وغيرهم. ومع ذلك فليس الغرض من تشييد جميع الخانات الربح الشخصي للأفراد فقط ، حيث أن عددا منها كان يشيد من أجل البر والتقوى، أي يوقف على المباني العامة الدينية والخدمية فتحبس غلتها لتصرف على المستلزمات الضرورية. كما فعل كاظم باشا حين أوقف بعض أملاكه على الجامع الكبير ومنها الخان المعروف بخان الوقف كما أسلفنا.

المصادر والمراجع:

١. - عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة الحضارات، بيروت (د.ت)، ج٨، ص٩٦.

٢. - دائرة التسجيل العقاري في الفلوجة، شعبة الأضابير.

- The National Geographic Magazine, Vol : XXVI, July-December, 1914, The National , Geographic Society, Hubbard Memorial Hall, Washington, D.C, 1914, P. 586

الهوامش

[١] ـ سالنامة بغداد دفعة ٢٩، لسنة ١٣٣٢هـ. لعل المقصود بالخانات الاربعة هي خان الوقف وخان عويد وخان سيد نجم بن عيدان وخان حسن كنه.

[٢] ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة الحضارات، بيروت (د.ت)، ج٨، ص٩٦.

[٣] ـ باع مالك الخان عويد بن حمو نصفه لأولاد محمود جلبي وفق السند ٢٨ و ٤٠ المسجلة في دفتر شهر كانون أول عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، والنصف الثاني لأولاد الحاج عبد العريم بموجب سند الطابو ٦٤ المسجل بدفتر شهر شباط عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م. وقد ال الخان عام ١٩٥٦م الى عبد الحميد الحاج محمد العريم ثم إلى وزارة المالية وذلك عن الديون المتراكمة على ال عريم، وسجل باسم الوزارة المذكورة مع القسم الثاني من الخان بالسندين المرقمين ٥٢و ٥٣ في شهر تشرين الثاني ١٩٦٨م.

[٤] ـ دائرة التسجيل العقاري في الفلوجة، شعبة الاضابير، اضبارة تسلسل ٦٩.

[٥] ـ نجهل مقدار مساحة هذا الخان لفقدان ملفه المرقم ٢٦، كما نجهل الكثير من المعلومات الخاصة بالعقار إلا أن السندات للعقارات المجاورة تؤكد بأنه كان مسجلا باسم المدعو سيد نجم بن عيدان وهو أول من ملكه ثم انتقلت ملكيته إلى بعض الأشخاص ثم إلى أل العريم.

[٦] ـ أقدم سند لهذه المقهى مسجل باسم إبراهيم اغا بن ثابت، وتاريخه تشرين ثاني ١٣١١هـ(١٨٩٤م).

[٧] - The National Geographic Magazine, Vol : XXVI, July-December, 1914, P. 586.

[٨] ـ استأجره من دائرة الأوقاف بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٧؟ المرحوم احمد الصالح ببدل أجار سنوي قيمته ٦٦ دينار واستعمله خانا لربط الخيول.

[٩] ـ كاظم باشا صهر السلطان عبد الحميد وقد ابعد إلى بغداد لأسباب سياسية، وكان فيها قائد للخيالة، نال رتبة فريق وكان يتولى الوكالات لبعض الولاة أثناء غيابهم، وقد توفي سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م). وله ورثه زوجة وبنات اثبتوا وراثتهم وانتقلت إليهم أراضي وعقارات. ومن أعماله الخيرية بناء جامع في الفلوجة وآخر في الفحامة وأوقف عليهما بعض أملاكه. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٢، ص١٤٠، ١٧٧، ٢١٨.

[١٠] ـ هناك مراسلات كثيرة مكتوبة ومنازعات موثقة دارت بين ورثة كاظم باشا من جهة ودائرة الأوقاف من جهة أخرى استمرت عقود من الزمن، حيث أقام الورثة عدة دعاوى تطالب بإرجاع هذا الخان والعرصة الملحقة بالجامع الكبير ـ والمتمثلة اليوم بصحنه ـ لاعتقادهم بان هذين الملكين هما خارج الأملاك التي أوقفها كاظم باشا على الجامع، في حين تدعي الأوقاف بعدم انطباق الأملاك المذكورة على ما جاء في القيود المقدمة من قبل أصحاب الدعاوى. وعليه أقرت تلك الأملاك بأنها وقفا مضبوطا باسم ديوان الأوقاف. دائرة التسجيل العقاري في الفلوجة أضبارة ١٧٦.

[١١] ـ دائرة التسجيل العقاري في الفلوجة، شعبة الأضابير، اضبارة رقم ١٦٨.

[١٢] ـ دائرة التسجيل العقاري في الفلوجة، اضبارة رقم ٣.